قراءة في مفهوم الثبات في السيرة النبوية

READING IN THE CONCEPT OF CONSTANCY IN THE PROPHET'S BIOGRAPHY

مُحَمَّد سليمان الفارس[1]

ABSTRACT:

This research aims to extrapolate the biography of the Prophet, and to find out how he was able to steady the believers during the da'wah stage, and what are the methods and the practical steps that he followed to steady Muslims. This study was divided into two main topics. In the first topic we dealt with constancy at the level of the individual (how the Messenger and then his companions faced all the psychological and social methods of the polytheists). Then the stability on the social level (secrecy, migration, war) and how it was going with the enemies collective methods. In the end: we come up with general rules from the life of the Prophet, to help the believer remain steadfast in facing the new temptations and obstacles that prevent him from what he believes in, or reduce his commitment.

KEYWORDS: Consistency, Truth, Lessons, Through Biography, Principles.

كلمات مفتاحية: الثبات، الحق، دروس، عبر، السيرة، المبادئ.

ملخص: يهدف هذا البحث لاستقراء سيرة الرسولﷺ، ومعرفة كيف استطاع تثبيت المؤمنين خلال مرحلة الدعوة، وماهي الأساليب والخطوات العملية التي اتبعها لتثبيت

* Mohamed Sliman Alfares . Mardin Artuklu Üniversitesi, Edebiyat Fakültesi, Sosyoloji ,Türkiye .
Email : suliman.97@hotmail.com ORCID ID: http://orcid.org/0000-0002-6178-0472

المسلمين. وقد قُسّمت هذه الدراسة إلى مبحثين رئيسين، المبحث الأول تناول الثبات على مستوى الفرد (كيَف واجه الرسولﷺ ثم أصحابه من بعده كل أساليب المشركين النفسية والاجتماعية). ثم في المبحث الثاني الثبات على المستوى الاجتماعي (السرية، الهجرة، الحرب) وكيف كانت تتناسب مع أساليب الأعداء الجماعية.

وفي النهاية : نستخلص قواعد عامة من خلال سيرة النبي، لتكون معيناً في ثبات المؤمن على مواجهة مايستجد من فتن وعقبات تحول بينه وبين مايعتقد به، أو تقلل من مدى التزامه.

تمهيد:

إنّ الناظر لحال الأمة الاسلامية، أفراداً وجماعات، يدرك أنها في صورة غير طبيعية، اذ تعصف بها الفتن والمشكلات والاضطرابات، فيضعف البعض أمام هذه الصعوبات ويستسلم، ويثبت البعض. هذا الحال يعيد لأذهاننا قراءة التاريخ، إذ لم تخلو فترة زمنية من مثل هذه العقبات والفتن. وأفضل ما نقرأه هو السيرة النبوية، حيث لها أهمية كبيرة في فهم السنن الاجتماعية. وليس الغرض من دراسة السيرة النبوية، مجرد الوقوف على الوقائع التاريخية، وإنما الغرض منها؛ أن ينظر المسلمون للحياة بجوانبها (الاجتماعية والاقتصادية والسياسية) بمنظارالاسلام الحق، وهذا المنظار الذي يُجلّي لنا الحقيقة متجسد في سيرة حياته ﷺ، بعد أن نفهم مبادئها وقواعدها وأحكامها، ونستخلص منها العبَر والدروس ونجعلها ميزاناً نقيس به سلوكنا وفكرنا، ونستمد منه مايعين على الثبات.

من خلال فهم مراحل حياتهﷺ وظروفه التي عاش فيها، فمن دون قدوة يرشدنا كيف نسلك الطريق، ويدلنا بسلوكه كيف يفعل، في كل مواقف الحياة فسوف نَضل. فيجد الإنسان بين يديه صورة للمثل الأعلى في كل شأن من شؤون الحياة، ولذا جعلَه الله قدوة للإنسانية كلها إذ قال: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} [الأحزاب :21]

و من أهم ما يجعل سيرته ﷺ وافية بتَحقيق هَذه الأهداف كلها، أن حياته عليه الصلاة والسلام شاملة لكل النواحي: الإنسانية في المجتمع التي توجد في الإنسان من حيث إنه فرد

مستقل بذاته أو من حيث إنه عضو فعال في المجتمع. وإن كثيراً من آيات القرآن التي نحتكم إليها كقواعد ثابتة إنما تفسرها الأحداث التي مرت برسول الله ﷺ ومواقفه منها.

ولقد مر بما تمر به الأمة ولو اختلف الشكل، فقد حوصر حصاراً اقتصادياً، وحورب بالسلاح، وأوذي أهله وأتباعه، وسلط أعدؤه لسانهم–الاعلام– عليه، للنيل من سمعته، وعقدوا اتفاقيات مع من يعاديه، وشكّلوا الأحلاف. ولو دققنا في حال الأمة اليوم لوجدنا ما مر به يعصف بنا الآن ، فهل استسلم رسول الله، أو أصحابه؟ ما كانت طرقهم في الثبات على الحق؟ كيف واجهوا كل تلك الفتن العظيمة؟

هذا البحث هو محاولة لاستقراء سيرته ﷺ واستخلاص منها العبر والدروس، التي تعين على الثبات.

مصطلحات البحث:

الثبات: جاء في معجم لسان العرب عن معنى كلة ثبات، من ثَبت: يثبت ثباتاً وثبوتاً فهو ثابت، ويقال ثبت فلان بالمكان إذ أقام به. وتَثَبَّت في الأمر أي تأنى فيه ولم يعجل، واستثبت في أمر إذا شاور وفحص عنه. وجاء في قوله تعالى:(وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل مانثبت به فؤادك)، قال معنى تثبيت الفؤاد تسكين القلب، وكلما كان البرهان والدلالة أكثر كلما كان القلب أسكن وأثبت أبداً. والثبت: الفارس الشجاع، والثبيت:الثابت العقل. ورجل ثبت عند الحملة أي ثبات. وثابته: أي عرفه حق المعرفة. وأثبت حجته أي أقامها وأوضحها (منظور، 1950، صفحة 467).

من ذلك نقصد بالثبات في هذا البحث دوام الانسان واستمراه فرداً أو جماعة على مايؤمن به، رغم كل مايحيط به من فتن وشهوات، وعذاب وغيره من الأشكال المستجدة، واسقرار رأيه على مايؤمن به، على ماجاء به الحق سبحانه.

الثبات يعني التمسك بالمبدأ، وتطوير الوسائل، واستفراغ الجهد، وشحذ الهمم، وإيقاظ العزائم، واستغلال كل الفرص والإمكانات. يقول الإمام البنا –رحمه الله– في تعريف الثبات: "وأُريدَ بالثبات: أن يظل المسلم عاملاً مجاهداً في سبيل غايته مهما بعدت المدة

وتطاولت السنوات والأعوام، حتى يلقى الله على ذلك وقد فاز في النهاية" (المجيد، 2011، صفحة 249).

المبادئ: يقصد بها هنا الأوامر والتشريعات الإلهية، والنواهي، التي ورت في القران وسنة رسولهﷺ.

لبسط الأفكار بشكل واضح، تم تقسيم الدراسة لمبحثين: الأول يتناول الثبات على مَستوى الفرد، فتن عظيمة تتجدد أشكالها بتجدد الأعداء.

والثاني يتناول الثبات على مستوى الجماعة(صغيرةً كانت أو كبيرة)، كما يحصل في هذا الزمان للدول والجماعات أصحاب الحق(حصار،حرب،هجرة) .

المبحث الأول– الثبات على مستوى الفرد

المؤمن عبد لله، إختار لنفسه العبودية لله، فكلفه الله بأوامر، ونهاه عن نواهي، ومانهاه عن شيء إلا وفيه نجاته، وما أمره بشيء إلا وفيه سعادته. وكل ذلك ليختبر صدق إيمانه، ومدى ثباته على ما اختار. وهذا دليل قوله تعالى: (أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وهم لَا يفتنون)العنكبوت:2 . فالمبدأ الأول هو أن كَل مؤمن مكلف سيبتلى في نفسه وسمعته وماله وأهله . هذا قانون .هل أتباع الرسل فقط هم من يبتلى أم أن الرسل قبلهم قد وقعت عليهم هذه السنن؟ لنرى في سيرة الرسول ﷺ وأصحابه، ما ماهي العوائق في وجه الايمان والثبات عليه، وما الوسائل التي علمها رسول الله لأصحابه حتى يثبتوا؟

تشويه صورة الآخر:

حينما نزل الوحي وأَمر سيدنا مُحَمَّد لدعوة الناس إلى دين الاسلام ، بدأت عوامل النفس الداخلية من غيرة وحسد تلعب دورها في نفوسهم، وهم قد تربوا على وجود فوارق اجتماعية بينهم، أشراف سادة وعامة وعبيد. فخافوا أن يسلبهم هذا الدين الجديد مكانتهم وسلطتهم ، وتنتقل هذه المكانة إلى رسول الله، حين دعا لمساواة بين الناس (إلغاء الطبقات) فلم يسلم من أذاهم ومكرهم وخططهم. من ذلك:

الأساليب النفسية: حتى توهن عزيمة شخص ما وتضعف قواه المعنوية؛ فتهتز ثقته بنفسه، ويشعر أنه وحيد بين ناسه. استخدم أساليب نفسية : الاستهزاء به، السخرية منه

تكذيبه.. هذه حيل نفسية حاول قادة العرب في ذاك الزمان استخدامها مع رسول الله ﷺ للنيل منه، وبذلك يتوقف عن دعوته . فماذا فعلوا؟ رموا النبي بتهم هزيلة ضعيفة وشتائم سفيهة (المباركفوري، 2007، صفحة 83) حاولوا وصفه بالكذب والسحر(وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ)ص:4 . ولكن علمه بحقيقة نفسه– يعرف أنه صادق أمين وهذه صفة كانوا يصفونه بها قبل الدعوة– جعلته لايتواني عن الدعوة التي أمره الله بتبليغها، ولا يلتفت لأمر هؤلاء الماكرين (وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)الأعراف:199.

وحينما لم يفلحوا وصفوه بالجنون ليشوهوا صورته النفسية بأعين غيرهم، حتى لا يأخذوا بأفكاره ولا يتبعوه:(يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ) الحجر:6.

ولم تُجْد نفعاً تلك الأساليب، فلجأوا إلى أسلوب آخر، فيستقبلونه بنظرات ناقمة، وعواطفَ تظهر الكره والحقد له، حينما يرونه حتى يشعر بأنه بينهم غير مرغوب به، فيغادرهم: (وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ)القلم:51.

وكان إذا جلس مع الذين آمنوا به يعلّمهم ويتحدث اليهم، استهزأ به المشركين، وقالوا لبعضهم أُنظروا إلى من يجلس؟ يجلس الى أرذل القوم الضعفاء الذين ليس لهم مكانة بيننا:(لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ)الأنعام:53.

كما ورد في السيرة : كانوا كلما مر المعاندون بالمؤمنين يستهزؤون بهم:(إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ، وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ، وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ، وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ، وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ) المطففين:29–33.

تشويه الأفكار، وبث الدعايات الكاذبة:

لما رأوا رسول الله وأصحابه القلة الذين آمنوا به ثابتين على منهاجهم الحق، ولايتأثرون ولا يخضعون لأساليبهم السابقة، اتبعوا طرق أخرى ، فكانوا يبثون الإشاعات –ومعلوم ما للاشاعات من أثر في النفس خاصة وقت الانفعال العاطفي فهي تجعل الشخص محتاراً

قلقاً– بين الناس حتى يبعدوهم عن طريق دعوته، فقالوا في ذلك مثلا:(أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا ، فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) الفرقان: 5.

رموا الرسول الذي هو أبر الناس وأصدقهم ،رموه بالكذب والجرأة العظيمة، ومنها: إخبارهم عن هذا القرآن الذي هو أصدق الكلام وأعظمه وأجله – بأنه كذب وافتراء. (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا) الفرقان:4.

ومنها أنهم قادرون أن يأتوا بمثله، وأن يضاهي المخلوق الناقص الخالق بصفة من صفاته، وهي الكلام.

ومنها: أن الرسول أمي لايقرأ ولايكتب وهم أشد الناس علماً بها، وقد زعموا أنه يتعلم من شخص.

كانوا يقولون:(إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ) قالوا أن مايتفوه به، يعلمه إياه عبد رومي. وكانوا يقولون عن الرسولﷺ (وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ)الفرقان:7. عيروه بالمشي في الأسواق مثله مَثل أي إنسانَ آخر، مقارنة بالملَوك والأكاسرةَ، الذين يمشون مع مرافقة وخدم أوردنا طرفاً مما قالوا، لتوضيح أساليبهم في مواجهة –المنافس– إذ اعتبروه منافس يسلبهم سلطتهم من المجتمع. وفي القرآن ردود كثيرة عليهم ، لانذكرها هنا فهي واضحة جداً.

فإن قالوا هذا بحق رسول الله، فمن باب أولى أن يتهم البعض في زماننا –المؤمنين– بصفات مثل(جاهل، متخلف، مجنون، مسكين، درويش،...وغيرها) حين ترى ذاك فاعلم أنك على طريق الحق.

مساومات:

لا يعدم من يكيدون للإسلام والمسلمين الوسيلة للإيقاع بالمسلمين، إن لم يستطيعوا عدل رأيهم يحاولوا إشغالهم بماهو غير نافع، أو مساومتهم.

فلقد حاول سادة العرب في ذاك الزمان أن يلتقي الاسلام والجاهلية في الوسط لاغلبة للاسلام ولا لهم، ففي رواية عرضوا على رسول الله أن يعبد آلهتم عاماً ويعبدون الله عاماً (قطب، صفحة 501) وهذا يكون حلاً وسطاً كما زعمو، (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) القلم:9. ودوا لو تلين لهم، يتركون بعض ماهم عليه، ويترك النبي بعض ماهو عَليه.

روى ابن اسحاق: أن رسول الله ﷺ كان يطوف مرة بالكعبة فلقيه الأسود بن أسد بن عبد العزى والوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاص بن وائل السهمي–وكانوا ذوي أسنان في قومهم– فقالوا يامُحَمَّد هلم فلنعبد ماتعبد، وتعبد مانعبد فنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيراً ممانعبد كنا قد أخذناحظنا منه، وإن كان مانعبد خيراً مماتعبد كنت قد أخذت بحظك منه، فأنزل الله تعالى فيهم (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ) الكافرون (هشام، 1955، صفحة 362). وحسم الله مفَاوضاتهم المضحكة بهذه المفاصلة الجازمة.

العبرة من ذلك أن أصحاب الأفكار العظيمة والأهداف السامية يتبين صدقهم من إصرارهم وعدم استبدال أفكارهم والتخلي عنها، حينما يجدون من المال والمغريات والسلطة و... لايبتغون عن مشروعهم بديل، بل علمتنا السيرة النبوية أن الإصرار على الحق خير وأكثر غلبة من التخلي مقابل شيء زائل.

والآن كثيرة هي الفتن، والمساومات على دين ومبادئ الحق.

الاعتقال والتعذيب:

أعمل المشركون الأساليب التي ذكرناها(النفسية) بعد ظهور الدعوة من السنة الرابعة للهجرة، ولما لم تُجد معهم نفعاً في كف الدعوة الإسلامية؛ اجتمعو مرة أخرى، فَشَكّل زعماؤهم وفداً منهمَ مكون من 15 رجلاً من سادات قريش رئيسهم في ذلك أبو لهب عم رسول الله ﷺ، وبعد التشاور والتفكير إتخذت هذه (اللجنة)[2] قرارا حاسماً ضد رسول الله ﷺ وأصحابه. فقررت أن لا تألو جهداً في محاربة الاسلام وإيذاء رسوله، وتعذيب

[2]– نجد مثل هذه اللجان تتكرر عبر التاريخ، لمعاقبة دول وأفراد(لهم مبادئ ثابتون عليها،أو لهم قوة ناشئة) فيتخذون العقوبات بحقهم.

الداخلين فيه والتعرض لهم بألوان النكال والإيلام (المباركفوري، 2007، صفحة 85).

حبسوهم وقيدوهم وعذبوهم، وكان سهلاً بسبب ضعف المسلمين، فقُتل ياسر وزوجته سمية، وضرب بلال بن رباح وكثير أمثالهم، ومع ذلك لم يفتروا ولم يتراجعوا وَأصروا على الحق وثبتوا في طريقه، والصدق فيه نتيجته أكثر حلاوة من التخلي عنه، إذ اشترى أبو بكر الصديق ﷺ بلالاً وأعتقه، فأصبح حراً بعد أن كان عبداً مملوكا، وكانت العرب تعظم من يبدي الشجاعة، وتقل في أعينهم مكانة المنافق المتقلب برغم معاونته ومناصرته لهم، ويبدو ذلك في صور كثيرة؛ منها وحشي العبد الذي قتل عم رسول الله حمزة، فبعد أن حرروه حاول مجالستهم ومشاركتهم الرأي باعتباره حراً معاوناً لهم، لكنهم لم يقبلوا بأكثر من اعتاقه. ومازال في زماننا الجبابرة يحترمون القوي الثابت، وينتفعون بخدمات الذليل المتقلب ولا يحملون له أي إحترام أو توقير، فهو في نظرهم خادم، و في أقرب فرصة يتخلون عنه حينما تنتهي خدماته لهم.

وأبو لهب بدأ قبل قريش بايذاء النبي ﷺ وكان قد زوَّج ولديه عتبة وعتيبة ببنتي رسول الله ﷺ رقية وأم كلثوم قبل البعثة، فلما كانت البعثة أمرهما بتطليقهما بعنف وشدة، حتى طلقاهما (قطب، صفحة 282). وكان يجول خلف النبي في موسم الحج والأسواق لتكذيبه. وكانت امرأة أبي لهب أم جميل بنت حرب لا تقل عن زوجهافي عداوة النبي، كانت سليطة تبسط لسانها في رسول الله وتطيل الإفتراء، وتؤجج نار الفتنة لذلك وصفها القرآن بحمالة الحطب.

وكان أمية بن خلف إذا رأى رسول الله ﷺ همزه ولمزه. وفيه نزل: (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ). والهمزة: الذي يشتم الرجل علانية، ويكسر عينيه ويغمز به. واللُمزة: الذَي يعيبً النَاس سراً ويؤذيهم (هشام، 1955، صفحة 356).

ولكن لصاحب الحق ثبا ت وقوة في الدفاع عن فكره وحقه، إن كان معتقداً بصحة مايدعو إليه، كما حصل مع رسول الله ﷺ ، رآه أبو جهل مرة عند المقام يصلي فقال له: يامُحَمَّد ألم أنهك عن هذا؟ وتوعده فلم يسكت رسول الله بل أغلظ عليه وانتهره. فقال بأي شيء تهددني؟ أما أنا فإني والله أكثر هذا الوادي ناديا. فأنزل الله: فليدع ناديه سندع الزبانية

(المباركفوري، 2007، الصفحات 88-89).وفي رواية أن الرسول أخذ بخناقه وهزه وهو يقول:(أَولى لَكَ فَأَولى ، ثُمَّ أَولى لَكَ فَأَولى). فرسول الله معصوماً محفوظاً من الله كيف لا وهو رسوله.

وكان أبو جهل أشد الناس عداوة للمسلمين إن لقي الأعزاء توعدهم وهددهم بالخسارة، وإن لقي الضعفاء عذبهم عذاباً شديداً ، وهم تحت كل هذا العذاب ثابتون على الحق. فكان عمار بن ياسر ﷺ مولى لبني مخزوم أسلم هو وأبوه وأمه، فكان يخرجهم أبو جهل لبطحاء مكة إذا اشتد حرها ، ومر بهم النبي وهم يعذبون فقال: صبراً آل ياسر إن موعدكم الجنة، فمات ياسر ثابتاً على الحق وماتت سمية طعنها أبو جهل بحربة في بطنها فماتت، وهي أول شهيدة في الاسلام (الشيخ، 1379هـ، صفحة 92). ودفع أبو بكر الصديق ﷺ الكثير من ماله، ليفتدي به المستضعفين، يشتريهم من سادتهم ويحررهم في سبيل الله. أعتق بلال بن رباح وعامر بن فهيرة، وزنيرة والنهدية وابنتها وأم عبيس، إماء أسلمن، ليخلصهم من العذاب الذي كانت قريش تسومهم إياه (هشام، 1955، صفحة 318).ومن هذه الصور تستشف الدروس والعبر، فالفداء ظاهرة إجتماعية تعبر عن الرابطة ا لاجتماعية التي وحدت المسلمين، وانطلاقاً منها ينبغي أن يتكاتف المسلمين لنصرة الآخرين المستضعفين بافتدائهم من أعدائهم، فطاقة البعض على تحمل المشاق تختلف. وهذا مما يعين الانسان على الثبات .

وهؤلاء أظهروا ثباتاً تنوء بحمله الأبطال. فبلالاً كان سيده في حر الرمضاء يطرحه على ظهره فوق الرمال الحارقة، ويزيد على ذلك بأن يضع فوق صدره الحجر، ويعطشه ويقول والله لاتزال هكذ حتى تموت أو تكفر بمحمد. فما كان رده؟ يقول أحدٌ أحد . ماكان له أن يثبت إلا عن ايمان عظيم بمايعتقد. فقد كان إيمانه يأخذه بكله إلى الثواب الذي سيلقاه من الله مقابل ألم زائل .

ومن حكمة الله إعداد المسلمين لتحمل الدعوة بقوة، والثبات على مبادئها، ولذك كان العام العاشر للدعوة عام حزن لرسول الله بسبب موت عمه أبي طالب وزوجه خديجة(أم المؤمنين) .

ما العبرة والحكمة من ذلك؟ مات أبو طالب وهو حامي رسول الله ومتعهده بالرعاية والحماية، حتى لا يظن الناس أن سبب انتصار الدعوة هو شخص أبو طالب، وأن العناية والحماية تأتي من الله عز وجل. ولقد تعهد الله أن يعصم رسوله، (والله يعصمك من الناس)المائدة:67. والأمر الآخر هوأن العصمة من الناس ليس أن لا يري منهم إيذاء أو عذاب أو اضطهاد. وإنما معناها العصمة من القتل أو عدوان يوقف الدعوة (رمضان البوطي، 1991، صفحة 147) . فقد قضت حكمة الله أن يذوق الأنبياء قدراً غير يسير، وذلك لا ينافي العصمة. يقول تعالى: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) الحَجر:97–98.اذنَ مَن حَكم الله أن يلاقي الرسول مالاقاه في سبيلَ الدعوة من المحن ، حتى يستسهلها عامة المسلمين في كل عصر ممن هم حملة الدعوة والفكر. فلو أن النبي ﷺ نجح في دعوته بدون مشقة وجهد، لطمع أصحابه والمسلمون من بعده أن يستريحوا كما استراح، ولاستثقلوا المصائب والمحن التي قد يجدونها في طريقهم الى الدعوة (رمضان البوطي، 1991، صفحة 148).

فإن مما يخفف على المسلمين وقع المصائب والعذاب، هو شعورهم أنهم يذوقون ماذاقه رسول الله ﷺ ويستمرون ويثبتون في الطريق التي سار بها الرسول.

من أساليبه ﷺ لتثبيت المؤمنين: وكان أسلوبه ﷺ تربوياً يعلِّم المؤمن على التحمل والجلد والصبر، وتوسيع مدارك المسلم، ليعرفهم الفارق الحقيقي بيَن الدنيا بكل ما فيها من مصاعب ومشاق وألم وعمل، وبين الآخرة وما فيها من خلود، إذا أدرك الناس أن هناك يوماً ما سيحاسبون فيه على ما يعملون، وكان هذا العلم علماً يقينياً، وأدركوا أن الذي سيحاسبهم هو إله قادر عليم حكيم جبار قاهر سبحانه وتعالى، فإنهم ولاشك سيعملون له؛ لأجل ذلك قال الرسول ﷺ في أول يوم لدعوته للناس (والله لتموتن كما تنامون، و لتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن على ما تعملون، وإنها لجنة أبداً أو نار أبداً) (بك، 1971، صفحة 26). لو راجعنا السور المكية؛ لتعرفنا طبيعة المرحلة، إذ كانت الدعوة

مضطهدة، والظلم مستفحلاً والأعداء كثر، فلابد من التركيز على رفع قيمة الآخرة في عيون المسلمين.

زرع الأمل في نفوس المؤمنين: إذا أُحبطَ الإنسان فلا أمل في صبره ولا نصره ولا تمكينه، يقول سبحانه: (استعينوا باللَّه واصبروا إنَّ الأَرْضَ للَّه يورثُها من يشاء من عباده والْعاقبةُ للْمُتَّقين) الأعراف:128. لَابَد منَ صبَر حتى يكوَنَ هنَاك تمكين، فربنَا سبَحانَه وتعالَى حتىَ يعلّم المسلمين الصبر يريهم الأمل، وأن الأرض ستكون لهم.

هذه منَ أهم النقاط التربوية في تمكين المؤمنين من الصبر، وبها نفهم موقف الرسول صلى الله عليه وسلم لما أتاه خبَّاب بن الأَرت ﷺ وأرضاه بعدما اشتد بهم التعذيب، أتى يطلب من الرسول ﷺ وسلم أن يدعو للمسلمين أن يرفع الله عز وجل عنهم هذه الغمة. يقول خباب : ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ خباب لم يعد يتحمل، فقد عذب تعذيباً أليماً، كان يكوى رأسه بالنار، ويوضع على الفحم الملتهب، فطبيعي بالنسبة لرجل مر بكل هذه التجارب الأليمة أن يذهب إلى رسول الله ﷺ يطلب منه الدعاء والاستنصار برب العالمين، وقد كان رد الرسول ﷺ على غير ما نتوقع، فقد غضب رسول الله ﷺ حتى ظهر ذلك في وجهه، يقول خباب : (فقعد رسول الله ﷺ وهو محمر وجهه، وقال: كان الرجل فيمن قبلكم يُحفَر له في الأرض حفرة فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه، فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون) (رمضان البوطي، 1991، صفحة 118). من المؤكد أن غضب الرسول ﷺ في هذا الموقف لم يكن لمجرد طلب الدعاء، بل إن المؤمنين مطالبون بالدعاء في مثل هذه المواقف، لكن الذي حدث أن رسول الله ﷺ شعر أنه قد بدأ ييأس ويفقد الأمل، لذا غضب رسول الله ﷺ ولم يخرجه غضبه عن أسلوبه التربوي الراقي، وذكر له أكثر من إشارة ليعلمه بها. منها قصص السابقين، وذكر له أحداثاً من التاريخ، فالمؤمنون من قبله قد مروا بما هو أشق، والناس عادة تصبر على مصائبها إذا رأت أن غيرها قد ابتلي بمصائب أشد. ثم بعد القصص زرع الأمل في قلبه وبيقين كامل (والله ليتمن هذا الأمر)، فاطمأن أنه في يوم من

الأيام سيمكن الله عز وجل لدينه. ثالثاً تذكيره بالله عز وجل والتعظيم لقدره فلا يخاف إلا الله، كما قال: (لا يخاف إلا الله) ، وأخيراً علمه من هذا الحديث الطريق الأخذ بالأسباب، يقول: (والذئب على غنمه)، ليس معنى التوكل على الله عز وجل أنك لا تأخذ بالأسباب، لا، فما زالت السرية موجودة، وما زال الصبر موجوداً، وما زالت الدعوة إلى الله عز وجل موجودة، فلننتظر التَمكين.

النتيجة أن خباباً ﷺ وأرضاه ثبت ولم يتزعزع، ولم يبدل ولم يغير، ثم لم يستعجل بعد ذلك.إذاً:

وأول ماقد يخطر على البال لدى المتأمل في السيرة، ومالاقاه الرسولﷺ وأصحابه من المشركين، من صنوف الايذاء والتعذيب، هو أن يتساءل فيم هذا العذاب الذي لقيه النبي وأصحابهوهم على الحق؟ ولماذا لم يعصمهم الله وفيهم رسول؟

الجواب أن الانسان في هذه الدنيا عبد لله وهذه العبودية تستلزم منه التكليف، لذا فواجب عباد الله المكلفين أولاً التمسك بالاسلام وإقامة المجتمع الاسلامي الصحيح. وثانياً اتباع السبل الشاقة لبناء هذا المجتمع وبذل كل مايملكون في سبيل ذلك.

وإلا فما معنى قول الله تعالى: أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا) آل عمران :214.

فَالله كلَفنا بالإيمان ومن ثم بسلوك الوسيلة لتحقيق هذه الغاية (الإيمان). ولو شاء الله لجعل السبيل لإقامة المجتمع الانساني بعد الإيمان به سهلا يسيراً، ولكن السير في هذه السبيل لا يدل حينئذ على أن الانسان قد ضحى في سبيل الايمان بالله تعالى، وأن أهواءه منقادة لما جاء به سوله ﷺ ، ولصار من السهولة أن يتساوى المؤمن مع المنافق والصادق والكاذب، فلا يتمحص الواحد عن الآخر.

إذن فما يلاقيه الدعاة لله تعالى، والمجاهدون في سبيل إقامة المجتمع الاسلامي، هي سنّة إلهية . لإظهار صدق الصادقين وكذب المفترين، من أجل بناء المجتمع المسلم، فلو ترك الناس بلا اختبار لإيمانهم وبلا فتنة الإبتلاء، لاستوى الصادق والكاذب.

وليس هذا الطريق في حقيقته عقبات تصد السالك عن بلوغ غايته كما قد يتوهم البعض، بل هو الطريق الطبيعي الذي خطه الله تعالى بين المسلم والغاية التي أمره بالسير بها. أي أن المسلمين يقتربون من الغاية بمقدار مايجدونه في طريقهم الى ذلك من العذاب (رمضان البوطي، 1991، صفحة 120). لذا لا ينبغي للمسلم إذا واجهته الصعوبات أن يتوهم اليأس بل عليه أن يزيه هذا ثقة بأن الغاية أصبحت أقرب.

المبحث الثاني– الثبات على مستوى الجماعة

حاول رسول الله ﷺ أثناء تبليغ الدعوة ونشرها، الحفاظ على ضرورات الدين الخمسة، أو مقاصده كمايسميها الفقهاء. تبليغ الدعوة وتعليم الناس لحفظ الدين، وكذلك حفظ أرواح وحياة المؤمنين بهذا الدين. لذلك وتقديراً لموقف الدعوة وما سيلاقيه المؤمنين من مشاق ربما تودي بهم لهلاك أنفسهم وإنحسار الدعوة، قام بعدة خطوات مهمة للحفاظ على المقاصد، منها:

مبدأ السرية وحماية المجتمع: كان من الحكمة تلقاء هذه الاضطهادات التي واجهها المسلمون أن يمنع رسول الله ﷺ المسلمين أن يشهروا إسلامهم قولاً وفعلاً ، وأن لا يجتمع بهم إلا سراً؛ لأنه إذا اجتمع بهم علناً فلا شك أن المشركين يحولون بينه وبين مايريد–من تزكية المسلمين وتعليمهم الكتاب والحكمة– وربما يفضي الاشهار إلى مصادمة بين الفريقين، بل وقع ذلك فعلا في السنة الرابعة من النبوة، وذلك أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يجتمعون في الشعاب ، فيصلون فيها سراً، فرآهم نفر من كفار قريش فسبوهم وقاتلوهم، فضرب سعد بن أبي وقاص رجلاً فسال دمه، وكان أو دم أهريق في الاسلام (الوهاب، 1956، صفحة 60). ولو طالت المصادمة أو تعددت لأفضت إلى تدمير المسلمين وإبادتهم، فكان من الحكمة الاختفاء مدة، في ظل التعذيب، فكان الصحابة يخفون إسلامهم وعبادتهم واجتماعهم، أما رسول الله فكان يجهر بالدعوة والعبادة بين أظهر المشركين، لا يصرفه عن ذلك شيء، وكان يجتمع مع المسلمين سراً؛ نظراً لصالحهم وصالح الدعوة، وكانت دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي على الصفا. بمعزل عن أعين الطغاة

ومجالسهم، فكان أن اتخذها مركزاً لدعوته، ولاجتماعة بالمسلمين من السنة الخامسة من النبوة (الوهاب، 1956، صفحة 61).

الهجرة: إتَّبع المشركون أسلوباً يتناسب مع الجماعة لإخضاعها، وهو حصارهم اقتصادياً، فمنعوا دخول المؤنات إليهم، ولم تعد عندهم فرص للعمل، ضاقت بهم الحال، جوع وفقر وحصار عسكري، لايستطيعون الفكاك منه، استمر لمدة ثلاث سنوات، تخيل ذلك المشهد فهو الآن يتكرر في بلاد المسلمين. ثم تفاقمت الاضطهادات في أواسط السنة الخامسة للدعوة، حتى بدأ المسلمون يفكرون بحيلة تنجيهم من العذاب، وفي هذه الشدة نزلت سورة الكهف، اشتملت على ثلاث قصص، فيها إشارات بليغة من الله تعالى إلى عباده المؤمنين، فقصة أصحاب الكهف ترشد إلى الهجرة من مراكز الكفر والعدوان، عند المخافة على الدين، متوكلاً على الله: (وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا) الكهف:16. وقصة الخضر وموسى تفيد أن الظروف لاتجري ولا تنتج حسب الظاهر دائماً، بل ربما يكون الأمر على عكس الظاهر. ففيها إشارة لطيفة إلى أن الحرب القائمة ضد المسلمين ستنعكس تماماً. وسيصادر هؤلاء الطغاة أمام الضعفاء من المسلمين.

وقصة ذي القرنين تفيد أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، وأن الفلاح إنما هو في سبيل الايمان وليس الكفر. وأن الله يبعث بين آونة وأخرى من يقوم بحماية ونجاة الضعفاء من يد الطغاة كما أرسل ذي القرنين لأهل المشرق حتى ينجيهم من يأجوج ومأجود في ذاك الزمان.

فجاء الأمر بالهجرة وقد علم رسول اللهﷺ أن أصحمة النجاشي ملك الحبشة ملك عادل لايظلم عنده أحد، فأمر المسلمين أن يهاجروا إلى الحبشة فراراً بدينهم من الفتن (المباركفوري، 2007، صفحة 92).

ولم يكن رسول الله ﷺ يترك الدعاء، لقد كان من دعاء النبي ﷺ في صلاته: "اللَّهمَّ إنِّي أسألُك الثَّباتَ في الأمرِ" (صحيح ابن حبان)، قال ابن العربي: "أي الدوام على الدين ولزوم الاستقامة عليه"

السيرة ومراحل ميزان القوى:

قسم مؤرخي سيرة الرسول ﷺ إلى ثلاث مراحل: المرحلة المكية وهي مرحلة الاستضعاف، والثانية المرحلة المدنية وهي مرحلة التمكين أو النصرة (حين تجد الدعوة من ينصرها)، والثالثة مرحلة الفتح (شفيق، 2005، صفحة 106). في المرحلة الأولى العدو أكثر عدة وعتاد، فهو الأقوى عسكرياً، ولا يوجد إمكانية المواجهة القتالية. وفي المرحلة الثانية يتغير ميزان القوى إلى قاعدة حصينة آمنة، ويمكن أن تكون هناك هجمات أو معارك تكتيكية للدفاع والحماية عن النفس وليس للهجوم ولا معارك فاصلة، وتظهر هذه الصورة في المعارك التي جرت بدءاً من بدر إلى الحديبية. فمازال بإمكان العدو القدرة على التطويق والمحاصرة بل الإبادة، وهذا ما حاولوا تحقيقه في معركة الأحزاب(الخندق).

أما في المرحلة الثالثة (الفتح) فشأنها مختلف تماماً أصبحت السيادة بيد الرسول وأصحابه، وثباتهم جاء بالنتيجة لنشر الدعوة، فواصلوا لتحقيقها ونشرها والعمل بمقتضى تعاليمها. واختلفت عن كل معارك الدول حين انتصارها، كل دولة أو جماعة أو حزب حين تنتصر على الخصم تحاول القضاء عليه، والتخلص منه حتى لايكون منافساً لها من جديد، وتستأثر لوحدها بالسلطة، إلا ما جاء في السيرة في فتح مكة اذ جاء الرسول الكريم في السنة الثامنة للهجرة ومعه 10 ألاف مقاتل (المباركفوري، 2007، صفحة 399)، بعد أن هُجّروا 10 سنوات وصودرت بيوتهم وأراضيهم وأموالهم، قال المسلمون اليوم يوم الملحمة (الثأر) لكن رسول الله ﷺ يريد أن يبني انساناً بفكر جديد ويبني مجتمعا تسود فيه حرية التعبير عن الرأي والخلاف البناء، قال بل اليوم يوم المرحمة، في كل حركة يضع مقاصد الشرع نصب عينيه فيراعي صالح المجتمع.

الحرب:

لم يستطع المشركين القضاء على الدعوة، فبدأوا يعدون العدة بشكل جماعي، عقدوا اتفاقيات بينهم وبين القبائل الأخرى، ومع اليهود، ومن لهم سلطة التجارة معهم. بذلك شكلوا أحزاباً لها من القوة والمنعة مايستطيعون بها القضاء على المؤمنين. وشتان بين أعداد جيش المشركين، وجيش المسلمين من حيث العدد. فالفارق كبير جداً. ولكن كل الحروب

التي خاضها رسول الله في حياته، كانت غايتها ليس إفناء المشركين، كما أردوا هم إفناءه ودعوته. ولكن الغاية الدفاع عن المسلمين ودعوة الاسلام ، والأمر كان بالمقاتلة على وزن مفاعلة، مدافعة، فغايته كريمة هي اسلام العرب وليس حكم العرب. والحفاظ عليهم، ولذلك كان في دعوته بمكة لمدة 13 سنة لم يقاتل ولم يأمر بالقتال. لماذا؟

لماذا كف رسول الله ﷺ المؤمنين عن القتال في مكة؟ قد يقول قائل: لماذا أمر الله عز وجل المسلمين بالكف عن القتال في مكة؟ ولماذا تحملوا الألم دون رد أو تغيير؟ يقول ربنا سبحانه وتعالى: (وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) الأنعام:106. الحكمة الكامنة من وراء ذلك المنع لا يستطيع البشر أن يتوصلوا إليهَا، لكننا سنبحث فيما نعتقد أنه السبب، حتى نتعلم كيفية العمل في الظروف المشابهة. الحكمة الأولى من كف المسلمين عن القتال: التربية على نوع جديد من الصبر، لن يتعلمه المسلمون إلا في مثل ذلك الوضع. العربي بصفة عامة صبور، يصبر على الجوع، والحر، والفقر، وطول السفر، والآلام، والحروب، إلا أنه لا يصبر على تحمل الظلم، فله طبيعة ثائرة لا ترضى بالضيم والجور، يثور ولو ضاعت حياته، لكن الآن أصبحت لدى المؤمنين أبعاداً أخرى أعمق من متطلبات الفرد، وأصبح من أهداف المؤمن أن يقيم أمة ودولة ومجتمعاً ، ولا يستقيم للفرد أن ينظر إلى مصلحته الشخصية، بل يجب أن ينظر إلى مصلحة المجموع، وربنا سبحانه وتعالى يأمرهم ألا ينظروا إلى مصلحتهم الخاصة فحسب، ولكن ينظروا لصالح الأمة والجماعة، لأنه لا يمكن لأمة أن تنهض وأفرادها يقدمون مصالحهم الشخصية على مصالحها العامة، فيتحتم عليهم الكف عن القتال، حتى يتربى المسلمون على هذا النوع الجديد من الصبر.

الحكمة الثانية: التربية على الطاعة لقيادة هذه الأمة الناشئة؛ لأن الاختبار الحقيقي للطاعة هو أن تطيع دون جدل ولا ضجر ولا اعتراض– في أمر لا تهواه نفسك– في غير معصية للخالق سبحانه وتعالى، هذا هو المقياس الحقيقي للطاعة، كما حصل من خباب مع رسول الله ﷺ، فخباب رأى أن استعجال النصر مصلحة في ذلك الوقت، فذهب إلى رسول الله ﷺ يطلب منه ذلك، فأوضح له رسول الله ﷺ الأمر، وبين له ضرورة الصبر.حينها سمع وأطاع وكف اليد وقبل الأمر، وتعلم شيئاً في منتهى الأهمية للجماعة وهو

الطاعة لولي الأمر، لا جماعة بغير إمرة، ولا إمرة بغير طاعة، ومن غير هذا الجو من التعذيب والأمر بالصبر عليه لن يتعلم المسلمون الطاعة في مشوار حياتهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم وبعده. إذاً: كانت الحكمة الثانية: تربية المسلمين على الطاعة لرسول الله ﷺ، أو لأي قائد ما لم يأمر بمعصية لله عز وجل. الحكمة الثالثة في كف المؤمنين عن القتال في مكة: أن الدعوة السلمية في هذه البيئة كانت تعطي نتائج أفضل. ولبيان هذا الأمر نطرح سؤالاً: هل الغرض في النهاية هو حكم مكة أم إسلام مكة؟ الغرض إسلام مكة، ولا يهم من الذي سيحكمها بعد ذلك، المهم يحكمها بكتاب ربنا سبحانه وتعالى وبسنة الرسول ﷺ، كما أن هذه البيئة المكية ألفَت العنجهية والشرف والعلو والعزة، ولو فرضت عليها الرأي بالقوة لن تقبله، وسيحدثَ صراع مبكر بين المؤمنين والكافرين، وسيرفض الكافرون الدخول في هذا الدين عناداً، فهم يعاندون لضعف المسلمين، فكيف لو فرضوا عليهم الرأي بالقوة؟ إذاً: لابد للداعية أن يدرس نفسيات من يدعوه من الناس، فمنهم من يتأثر بمظاهر الرحمة في الداعية، ومنهم من يتأثر بذكاء عقله، أو بقوة بدنه، ومنهم من يتأثر بلطفه وأدبه، وهكذا خلق الله عز وجل الناس مختلفين، ولابد للداعية أن يتعامل مع كل هذه النوعيات، ويراعي ظروف المدعو، وظروف البيئة التي يعيش فيها. الحكمة الرابعة في كف المؤمنين عن القتال في مكة: تجنب الفتنة الخطيرة التي ستحدث في مكة وتؤدي إلى سمعة سيئة بالإسلام، وإلى الفتنة العظيمة، ولم يكن في أرض مكة حكومة مركزية تقوم بتعذيب الناس، بل تكفل كل زعيم بأتباعه، تكفل الوالد بولده، وشيخ القبيلة بأفراد قبيلته، والسيد بعبده، فمثلاً: مصعب بن عمير عذبته أمه، وعثمان بن عفان عذبه عمه، وخباب بن الأرت عذبته سيدته.. وهكذا، فلو قاتل المؤمنون دفاعاً عن أنفسهم، فإنهم سيقاتلون آباءهم وأعمامهم وقبائلهم، وفي هذا الموقف ما الذي سيقال عن الإسلام؟ إذا كان الكفار قد ادعوا أن الإسلام يفرق بين الولد ووالده، وبين الرجل وعشيرته، وبين المرء وزوجه من دون قتال، فكيف لو كان هناك قتال؟ إذاً: كانت هناك حاجة ملحة لتجنب الفتنة الكبيرة في داخل مكة، وللحفاظ على الصورة الجميلة للإسلام، وهي الصورة الواقعية لهذا الدين العظيم. الحكمة الخامسة في كف المؤمنين عن القتال في مكة: أن الله عز

وجل يعلم أن كثيراً من أهل الكفر سينتقلون بعد ذلك من معسكر الكفر إلى معسكر الإيمان، فالدعوة ما زالت في مهدها، ولم تأخذ الفرصة الكافية للوصول إلى قلوب الناس، وكثير منهم سيعترض في البداية ويتشدد، ثم لا يلبث أن يتبدل الأمر في أعينهم، من هؤلاء عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة بن أبي جهل، فكل هؤلاء أصبحوا بعد ذلك قادة يأخذون الإسلام إلى كل ربوع الأرض، فلو حصل القتال في أول فترة مكة لخسر الإسلام هؤلاء وأمثالهم.الحكمة السادسة: أن النخوة التي كانت في قلوب كثير من العرب كانت تتأثر بصورة المظلوم الذي لا يستطيع رفع الظلم عن كاهله، فيتحرك العربي في شهامة ليرفع الظلم الذي يقع على المسلمين، مثل ما وقع في القصة إسلام حمزة بن عبد المطلب ﷺ، فهو صورة من صور النخوة التي تحركت نتيجة الظلم الشديد الذي وقع على رسول الله ﷺ. كذلك الصحيفة التي نقضها المشركون أنفسهم بعد ثلاث سنوات من المقاطعة، كانت صورة من صور النخوة نتيجة الظلم الشديد الذي وقع على ا لمسلمين.الحكمة السابعة: حتى لا يصطدم المسلمون بالنواميس الكونية، فمثلاً: النار تحرق، ولذلك فالمسلمون أو الناس بصفة عامة لا يلقون بأنفسهم فيها. فالإسلام دين واقعي تشريعاته تراعي بدقة قوة الباطل، وتدعوا لتقدير القوة الكافية لردها، ووضع الخطة المناسبة للنصر، ويهيئ الأمر للقتال، ثم يتوكل على الله عز وجل ويعتمد عليه ويقاتل؛ فالإسلام دين يحترم الأسباب. ولو قام المؤمنون بثورة في مكة ما الذي سيحدث؟ سيقتلون رجلاً أو اثنين أو عشرة أو مائة من قريش، وبعد ذلك سيبادون عن آخرهم، نعم، الموت في سبيل الله غاية، لكن المؤمن لا يموت بغير ثمن، إن لم يغلب على الظن التمكين أو إحداث النكاية في العدو فلا معنى للقتال. والمسلمون في مكة قلة مستضعفة، والقياسات المادية التي قدرتها قيادة المسلمين أن الوقت غير مناسب للقتال، ليس جبناً ولا ضعفاً ولكن حكمة وتدبيراً، وسيأتي يوم تأخذ فيه قيادة المسلمين قرار القتال في بدر وما بعد بدر، لكن المسلمون لا يتسرعون النتائج، ويدركون حقيقة ما يسمى بفقه المرحلة، يدرسون الظروف بإحكام، يضعون الخطة، ويطلبون المدد من الله عز وجل، ثم يقومون بما يناسب المرحلة، وقد يناسبها الكف عن القتال، أو دعوة سرية أو جهرية أو معاهدات

ومفاوضات، أو جهاد واستشهاد، وقد مر الرسول ﷺ بكل هذه المراحل، ووضع لنا منهجاً دقيقاً نتبعه، لم يترك لنا موقفاً إلا وبين كيف نتعامل معه طبقاً لنواميس الكون لشرائع الإسلام. فالرسول ﷺ رسول من عند رب العالمين سبحانه وتعالى، ناقل لما أراده الله عز وجل منا في كل موقف؛ لذلك نحن ندرس حياة الرسول ﷺ. يعني: لم يكن هناك ضرورة للقتال، وعندما تكون هناك ضرورة لابد أن يقاتل المسلمون.

ولو لم تكن السرية و دار الأرقم بن أبي الأرقم ﷺ ومنع القتال، لما استطاع المسلمون أن يحادثوا الأفواج التي تأتي إلى مكة وقت الحج، ولما استطاع المؤمنون أن يغادروا مكة إلى غيرها أو يدخلوا إليها، وستوضع على المسلمين قيود شديدة ستؤخر الدعوة لا محالة. إذاً: متطلبات هذه المرحلة أن يكف المسلمون اليد عن القتال؛ حتى لا يؤدي ذلك إلى كشف كل أوراق المسلمين في وقت يحتاجون فيه إلى التكتم الشديد.

لهذه الأسباب وغيرها كف الله عز وجل المؤمنين عن القتال في فترة مكة، وسيأتي زمان بعد ذلك يسمح فيه بالقتال، ولكل مرحلة طبيعتها، وحتى تقلد الرسول ﷺ يجب أن تعلم ما هي المرحلة التي أنت تعيشها، ومع أي مراحل الرسول ﷺ تتشابه.

وفي الختام: للثبات على المبادئ لابد من أمور نضعها بين أعيننا؛ **القدوات في الحياة** قراءة قصص السابقين مما يعين الانسان على الثبات، قال تعالى: (وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) هود:120

ذكر الآخرة ونعيمها وثوابها العظيم بعد الصبر والمشقة، وأنها حياة دائمة فإما نعيم دائم، أو عذاب دائم.

الدعاء والإلتجاء إلى الله،لأن الرسول ﷺ كان يكثر من دعاء (يامقلب القلوب ثبت قلبي على طاعتك).

الأخذ بالأسباب ةإعمال العقل، فالرسول الكريم دعا الناس،ولما أحس بالخطورة تتهددهم لجأ لسرية الدعوة، ثم الهجرة، والمفاوضات وقت الضعف، ثم الحرب.

المراجع

القرآن الكريم

ابن هشام .(1955) . *السيرة النبوية*،الجزء الأول .القاهرة، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

آل الشيخ،عبدالله بن مُحَمَّد النجدي.(1379)هـ. *مختصر سيرة الرسول* .القاهرة، مصر : المطبعة السلفية.

المباركفوري، صفي الرحمن .(2007) .*الرحيق المختوم* . قطر: وزارق الأوقاف والشؤون الاسلامية.

المجيد ،حنان مُحَمَّد عبد . (2011) .*التغير الاجتماعي في الفكر الاسلامي* .فرجينيا :المعهد العالمي للفكر الاسلامي.

الوهاب، مُحَمَّد بن عبد .(1956) . *مختصر سيرة الرسول* .القاهرة :مطبعة السنة المحمدية.

بك،مُحَمَّد الخضري .(1971) .نور اليقين في سيرة سيد المرسلين .بيروت :دار الكتب العلمية.

البوطي،مُحَمَّد سعيد رمضان .(1991) .*فقه السيرة النبوية* .دمشق :دار الفكر.

شفيق، مُحَمَّد .(2005) .*في نظريات التغيير* الطبعة 2 .بيروت ,لبنان :الدار العربية للعلوم.

قطب، سيد .*في ظلال القرآن* الجزء1 .بيروت :دار احياء التراث العربي.

منظور، ابن .(1950) .*لسان العرب* .القاهرة :دار المعارف.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-ShareAlike 4.0 International (CC BY-NC-SA 4.0)